١٢- الأحداث التي أعقبت الأحزاب وبني قريظة وسبقت صلح الحديبية

- قتل أبي رافع بن أبي الحقيق.

- غزوة بني لحيان.

- سرية نجد وقصة ثمامة بن أثال.

- غزوة المريسيع «بني المصطلق».

ومن أحداثها:

(أ) قول عبدالله بن أبي رأس النفاق ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

(ب) قصة الأعرابي الذي رفع السيف على رسول الله ﷺ.

(جـ) قصة الإفك.

١- قتل أبي رافع بن أبي الحقيق

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد قدمنا أن أبا رافع كان ممن ألب الأحزاب على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يُقتل مع بني قريظة كما قتل صاحبه حييّ بن أخطب، ورغبت الخزرج في قتله مساواة للأوس في قتل كعب بن الأشرف، وكان الله - سبحانه وتعالى - قد جعل هذين الحيين يتصاولان بين يدى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخيرات، فاستأذنوه في قتله، فأذن لهم فانتدب له رجال كلهم من بني سلمة، وهم عبدالله بن عتيك وهو أمير القوم. وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربعى، ومسعود بن سنان، وخزاعى بن أسود[1].

وهذه قصة قتله كما رواها البخاري عن البراء بن عازب قال:

بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي رافع اليهودي رجالًا من الأنصار فأمر عليهم عبدالله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويُعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم فقال عبدالله لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلى أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبدالله إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب.

فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على ود قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي له فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت بابًا أغلقت على من داخل. قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله، فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله. لا أدري أين هو من البيت، فقلت: أبا رافع! قال: من هذا؟ فأهويت نحو

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٢٧٥، ٢٧٦).

الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئًا وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل إن رجلًا بالبيت ضربني قبل بالسيف. قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته. فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال: ؟أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته. فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال لي: ابسط رجلك، فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط[1].

الفوائد والآثار الإيمانية:

١-**قال الحافظ:** في هذا الحديث من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر، وقتل من أعان على رسول الله ﷺ بيده أو ماله أو لسانه، وجواز

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٩٥، ٣٩٦) المغازي.

قال الحافظ ما ملخصه: ولأبي رافع أخوان مشهوران من أهل خيبر أحدهما كنانة، وكان زوج صفية بنت حيي قبل النبي ﷺ، وأخوه الربيع بن أبي الحقيق، وقتلهما النبي ﷺ جميعًا بعد فتح خيبر.

قوله: «**وراح الناس بسرحهم**» أي رجعوا بمواشيهم التي ترعى. قوله: «**ثم علق الأغاليق على ود**» وهو الوتد، والأغاليق جمع غلق، والمراد بها المفاتيح قوله: «**فقمت إلى الأقاليد**» جمع إقليد وهو المفتاح. قوله: «**في علالي له**» وهي الغرفة. قوله: «**نذروا بي**» أي علموا، وأصله من الإنذار وهو الإعلام بالشيء الذي يحذر منه، وذكر ابن سعد أن عبدالله بن عتيك كان يرطن باليهودية فاستفتح فقالت له امرأة أبي رافع: من أنت؟ قال: جئت أبا رافع بهدية ففتحت. قوله: «**ضبيب السيف**» وزن رغيف، قال الخطابي: هكذا يروي وما أراه محفوظًا وإنما هو ظبة السيف وهو حرف حد السيف ويجمع على ظبات باختصار من «الفتح» (٧/ ٣٩٦، ٤٠٠).

التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم، والأخذ بالشدة في محاربة المشركين، وجواز إبهام القول للمصلحة، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين، والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال أبي عتيك على أبي رافع بصوته، واعتماده على صوت الناعي بموته، والله أعلم[١].

٢- وفي القصة كذلك تسابق الصحابة رضي الله عنهم في الخيرات، وهو السباق المشروع بل المأمور به كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

أما التسابق في الدنيا فو مذموم كما قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢]، وهو السعي من كل إنسان حتى يكون أكثر من أخيه في أعراض الدنيا. وقد قال بعض السلف: إذا رأيت الرجل يُنافسك في الدنيا فنافسه في الدين. وقال بعضهم: إذا استطعت ألا يسبقك أحد إلى الله عَزَّ وَجَلَّ فافعل. وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [الحديد: ٢١]، وهذا في أمر الدين، أما أمر الدنيا فقد قال تعالى: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥]. ففي أمر الآخرة عبَّر بالتسابق والمسارعة، وفي الدنيا عبَّر بالسعي على المعاش قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱمْشُواْ﴾.

٢- غزوة بني لحيان

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهري ربيع، وخرج في جمادي الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: خبيب بن عدي وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة[٢].

قال ابن القيم: وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن عزان وادٍ من أودية بلادهم، وهي بين أمج وعسفان حيث كان مصاب أصحابه

(١) «فتح الباري» (٧/ ٤٠٠).

(٢) «تهذيب السيرة» [١٨٤]، لعبد السلام هارون.

فترحم عليهم ودعا لهم وسمعت بنو لحيان، فهربوا في رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يومين بأرضهم وبعث السرايا فلم يقدروا عليهم، فسار إلى عسفان فبعث عشرة فوارس إلى كراع الغميم لتسمع به قريش ثم رجع إلى المدينة وكانت غيبته أربع عشرة ليلة[١].

٣- سرية نجد وقصة ثمامة بن أثال

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ثم بعث رسول الله ﷺ خيلًا قبل نجد فجاءت بثمامة بن أثال الحنيفي سيد بني حنيفة[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث النبي ﷺ خيلًا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**»، فقال: عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال عندي ما قلت لك. فقال: «**أطلقوا ثمامة**» فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان بلد أبغض إلى من بلدك فأصبحت بلدك أحب البلاد إليّ، وأن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال:

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٢٧٦).

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٢٧٦).

لا والله، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ[(١)].

الفوائد والآثار الإيمانية:

١ -**قال الحافظ:** وفي قصة ثمامة من الفوائد ربط الكافر في المسجد، والمن على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيئ لأن ثمامة أقسم أن بُغضه انقلب حُبًّا في ساعة واحدة لما أَسْداه النبي ﷺ من العفو والمن بغير مُقابل، **وفيه:** الاغتسال عند الإسلام وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب، وأن الكافر إذا أراد عمل خيرٍ ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير، **وفيه:** المُلاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسرى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولاسيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه، **وفيه:** بعث السرايا إلى بلاد الكفار، واسر من وجد منهم، والتخيير بعد ذلك في قتله أو الإبقاء عليه[(٢)].

٤- غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق

عن محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبي بكر ومحمد بن يحيي بن حبان كل قد حدثني ببعض حديث بني المصطلق، قال: أبلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له فأمدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث زوج رسول الله ﷺ، فلما سمع بهم رسول الله

(١) رواه البخاري (٧/ ٦٨٨) المغازي، ومسلم (١٢/ ٨٨، ٨٩) «الجهاد والسير».

قال النووي: قوله: «**إن تقتل تقتل ذا دم**» اختلفوا في معناه فقال القاضي عياض في «المشارق» أشار إليه في شرح مسلم معناه: إن تقتل تقتل صاحب دم لدمه موقع يشتفى بقتله قاتله ويُدرك قاتله به ثأره أي لرياسته وفضيلته وحذف هذا لأنهم يفهمونه في عرفهم وقال آخرون: معناه تقتل من عليه دم ومطلوب به وهو مستحق عليه فلا عتب عليك في قتله، ورواه بعضهم في سنن أبي داود وغيره ذا ذم، أي ذا ذمام وحرمة في قومه ومن إذا عقد ذمة وفّى بها، «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٢/ ٨٧، ٨٨).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٦٩٠).

ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماءٍ لهم يُقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى ساحل فتزاحمت الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل الحارث بن أبي ضرار أبا جويرية وقتل من قتل منهم، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم، وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سبيًا قسّمه بين المسلمين وكان بين المسلمين، وكان فيما أصاب يومئذٍ من الناس جويرية بنت أبي ضرار سيدة قومها(١).

قال ابن إسحاق: ثم غزا بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست(٢).

وروى البخاري عن ابن عون قال: «كتبت إلى نافع، فكتب إليّ: إن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جُويرية، حدثني به ابن عمر وكان في ذلك الجيش»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث بنت الحارث لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عمٍ له وكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عمٍ له فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي قال: فهل لك في خيرٍ من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «**أقضي كتابتك وأتزوجك**». قالت: نعم يا رسول الله، قال: «**قد فعلت**» قالت: وخرج الخبر

---

(١) قال الهيثمي في «المجمع»: رواه الطبراني ورجاله ثقات «مجمع الزوائد» (٦/ ١٤٢).

(٢) «تهذيب سيرة ابن هشام» [١٨٦] لعبد السلام هارون.

(٣) رواه البخاري (٥/ ٢٠٢) العتق، ومسلم (١٢/ ٣٥، ٣٦) «الجهاد والسير»، ولفظه في مسلم عن ابن عون قال: كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال قال: «فكتب إليّ إنما كان ذلك في أول الإسلام قد أغار رسول الله... » الحديث.

إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما بأيديهم قالت: فلقد أعتق بتزوجيه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها»[١].

أحداث خطيرة فيها عبر وعظات أثناء هذه الغزوة:

(أ) قول عبدالله بن أبي رأس النفاق: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

(ب) قصة الأعرابي الذي رفع السيف وقال لرسول الله ﷺ: «**من يمنعك مني؟**».

(جـ) حديث الإفك.

ولنشرع في بيانها بشيءٍ من التفصيل، والله المستعان.

(أ) قول عبدالله بن أُبيّ: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل».

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «كنا في غزاة قال سُفيان مرة في جيش فكسع رجلٌ من المهاجرين رجلًا من الأنصار. فقال الأنصاري: يا للأنصاري، وقال المهاجري: يا للمهاجرين فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**ما بال دعوى جاهلية؟**» قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار. فقال: «**دعوها فإنها منتنة**» فسمع بذلك عبدالله بن أبي فقال: فعلوها؟ أما والله لئِن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ فقال عمر: يا رسول الله ﷺ دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «**دعه، لا يتحدث الناس أن مُحمدًا يقتل أصحابه**» وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد»[٢].

---

(١) رواه ابن إسحاق (٤/ ٩٠٨) من «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف»، وعنه أحمد (٦/ ٢٧٧) وصحح إسناده الألباني في «تحقيق فقه السيرة».

(٢) رواه البخاري (٧/ ٥١٦) المغازي، ومسلم (١٧/ ١٢٠) «صفات المنافقين وأحكامهم».

قال الحافظ: قوله: «كنا في غُزاة» سمى ابن إسحاق هذه الغزوة غزوة بني المصطلق، وكذا وقع عند الإسماعيلي من طريق ابن أبي عمر عن سفيان. وقال: يرون أن هذه الغزاة غزاة بني المصطلق.

قو له: «**فكسع**» المشهور فيه أنه ضرب باليد أو الرجل. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عقيل عن الزهري عن عُروة بن الزبير وعمرو بن ثابت أنهما أخبراه أن رسول الله ﷺ غزا غزوة المريسيع وهي التي هدم فيها رسول الله ﷺ مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشتل وبين البحر، فاقتتل رجلان فاستعلى المهاجري على الأنصار التي كانت بين فقال حليف الأنصار: يا معشر الأنصار فتداعوا إلى أن حجز بينهم، فانكفأ كل منافق إلى عبدالله بن أبي فقالوا: كنت ترجى وتدفع فصرت لا تضر ولا تنفع فقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكر القصة بطولها» وهو مرسل جيد.

قوله: «يا للأنصار» هي للأستغاثة أي أغيثوني. قوله: «دعوها فإنها منتنة» أي دعوى الجاهلية. من النتن أي أنها كلمة قبيحة خبيثة[1].

قال ابن عبد البر: وبلغ زيد بن أرقم رسول الله ﷺ مقالة عبدالله بن أبي بن سلول فأنكرها ابن أبي، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ فيه سورة المنافقين فقال رسول الله ﷺ لزيد بن أرقم: «**وفت أذنك**» وتبرأ عبدالله بن عبد الله بن أبي من فعل أبيه وأتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله أنت والله العزيز وهو الذليل، أو قال: أنت الأعز وهو الأذل وإن شئت والله لنخرجنه من المدينة.

وقال سعد بن عبادة: يا رسول الله إن هذا رجل يحمله حسده على النفِّاق فدعه إلى عمله، وقد كاد قومه على أن يتوّجوه بالخرز قبل قدومك المدينة ويقدموه على أنفسهم،

---

(١) باختصار من «فتح الباري» (٨/ ٥١٧) «التفسير».

فهو يرى أنك نزعت ذلك منه، وقد خاب وخسر إن كان يضمر خلاف ما يظهر، وقد أظهر الإيمان فكِلْه إلى ربه.

وقال عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول: يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي، فإن كنت تريد ذلك فمُرني بقتله فوالله إن أمرتني بقتله لأقتلنه، وإني أخشى يا رسول الله ﷺ إن قتله غيري لا أصبر عن طلب الثأر فأقتل به مُسلمًا فأدخل النار، وقد علمت الأنصار أني من أبر أبنائها بأبيه. فقال له رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له وقال له: «**بِر أباك، ولا يرى منك إلا خيرًا**»، فلما وصل رسول الله ﷺ والمسلمون إلى المدينة من تلك الغُزاة وقف عبدالله بن عبدالله بن أبي لأبيه بالطريق وقال: والله لا تدخل المدينة حتى يأذن لك رسول الله ﷺ بالدخول. فأذن رسول الله ﷺ بدخوله[1].

الفوائد والآثار الإيمانية:

١ - الأسماء الشريفة إذا قُصد بها تفريق المسلمين وتفتيت جماعتهم تصير من دعوى الجاهلية، وهي منتنة كما أخبر النبي ﷺ فمع أن اسم المهاجرين واسم الأنصار من الأسماء الشريفة التي تدل على شرف أصحابها وقد سماهم الله عَزَّ وَجَلَّ بهذه الأسماء على سبيل المدح لهم فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وكان للمهاجرين راية في القتال وللأنصار راية، إلا أن هذه الأسماء لما استُعملت الاستعمال الخاطيء لتفريق المسلمين وإحياء العصبيات الجاهلية، أنكر ذلك رسول الله ﷺ وقال: «**دعوها إنها منتنة**» وكذا والله أعلم اسم السلفية أو أهل السنة أو أنصار السنة إذا تعصب أصحاب هذه الأسماء لها ولم يكن ولاؤهم للمنهج فإن هذا يدخل في الذم المذكور، ويكون ذلك من دعوى الجاهلية، والجماعة المقصودة بحديث افتراق

(١) «الدرر في اختصار المغازي والسير» (١٨٩، ١٩٠).

الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة هم الصحابة ومن كان على معتقدهم وفهمهم للكتاب والسنة.

ولا يجوز تفريق المسلمين أصحاب المنهج الصحيح بحسب الرايات والأسماء التي يعملون تحتها، وعلى كل مسلم مخلص أن يسعى لتآليف المسلمين وجمعهم على الفهم الصحيح والعقيدة الصحيحة.

٢- في هذه القصة بيان عزة الإيمان وأن الكافر ذليل والمنافق ذليل وكيف أن العزة لله جميعًا ولا تطلب هذه العزة إلا بطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠].

ولا أذل لعبد الله بن أبي رأس النِّفاق من وقوف ولده له وعدم سماحه بدخول المدينة حتى يأذن رسول الله ﷺ فبان بذلك من العزيز ومن الذليل.

٣- في القصة كذلك بيان أن المشروع أن يدفع بالمفسدة الصغرى المفسدة الكبرى، فادعاء الناس أن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه ممن يُظهر الإسلام لاشك مفسدة عظيمة، فتحمل النبي ﷺ دسائس وغدرات ابنُ أبيّ وهي مفاسد دفعًا لهذه المفسدة والله أعلم.

٤- وفي القصة كذلك شرف النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين وهو أشرف النبيين وإمام المرسلين ولو أمر عبدالله بن عبد الله بن أبي بقتل أبيه لفعل وابتغى بذلك رضا الله عَزَّ وَجَلَّ ورضا رسوله ﷺ ولكنه قال له: «**بر أباك**» فصلى الله عليه وسلم تسليمًا، ثم هو ﷺ لم يكن لينتقم لنفسه ولا ليغضب لنفسه بل يغضب لله عَزَّ وَجَلَّ، ولاشك أن ما لاقاه النبي ﷺ من إيذاء واستهزاء وصبره على ذلك من أسباب رفعة النبي ﷺ وعلو درجته زاده الله عَزَّ وَجَلَّ تشريفًا وتكريمًا وصلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

(ب) قصة الأعرابي الذي رفع السيف على رسول الله ﷺ وقال: من يمنعك مني:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما أدركنا القائلة، وهو وادٍ كثير العضاه، فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه، فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبينما نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا فإذا أعرابي قاعد بين يديه، فقال: إن هذا أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي، فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترط سيفًا صلتًا قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله. فشامه ثم قعد، فهو هذا قال ولم يعاقبه رسول الله ﷺ»[1].

الفوائد والآثار الإيمانية:

١- في هذه القصة تصديق لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧]. وقد سبق ذلك قصص كثيرة في سيرة النبي ﷺ منها قصة أبو جهل قبحه الله عندما أراد أن يَطأ على رقبة النبي ﷺ وهي في «صحيح مسلم» وقصة سراقة وما حدث يوم أُحد وقصة إجلاء بني النضير، وقصة الشاه المسمومة وستأتي في غزوة خيبر.

٢- وفيها قوة إيمان النبي ﷺ ورباطة جأشه، وثقته بربه، فكم من إنسان يتحقق صدق وعد الله عَزَّ وَجَلَّ إلا أنه في المواقف الحرجة تتزعزع هذه الثقة ويدخله الشك والخوف.

٣- وفيها ما جبل عليه النبي ﷺ من الأخلاق العالية، وعفوه عن الجاهلين، وعدم الانتصار لنفسه، والغضب لها، وعلى ذلك ينبغي أن يتربى الدعاة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنه قدوتهم ومثلهم الأعلى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٢١].

(١) رواه البخاري (٧/ ٤٩٤) «المغازي».

(جـ) قصة الإفك:

قال ابن شهاب: حدثني عروة بن الزبير و سعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، وكُلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصًا، وقد وعيت عن كل رجلٍ منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضًا، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض قالوا: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب، فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنونا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، وقالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم، وإنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا، ووجدت عِقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول، قالت: فهلك من هلك، وكان الذي تولى

كبر الإفك عبدالله ابن أبي ابن سلول. قال عروة: أخبرت أنه كان يُشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه وقال عروة أيضًا: لم يسم من أهل الإفك أيضًا إلا حسان ابن ثابت، ومسطح ابن أثاثة، وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم، غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى وإن كبر ذلك يقال: عبدالله بن أبي ابن سلول. قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال:

فَـــإنَّ أَبِـــي ووَالِـــدُه وَعِـــرضِـــي لِـعـــرضِ مُحـمَـدٍ مـنْـكُـم وقَـاءُ

قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهرًا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يُريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكى، إنما يدخل على رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول «**كيف تيكم؟**» ثم ينصرف، فذلك يُريبني ولا أشعر بالشهر، حتى خرجت نقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصح. وكان متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلًا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبًا من بيوتنا. قالت: فخرجت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عبد المطلب فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلًا شهد بدرًا؟.

قالت: أي هنتاه ولم تسمعي ما قال: قالت: ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك قالت: فازددت مرضًا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: «**كيف تيكِم؟**» فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما. قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فقلت لأمي: يا أمتاه، ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوِّني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها. قالت: فقلت: سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت:

فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنومٍ، ثم أصبحت أبكي. قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فِراق أهله. قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك ولا نعلم إلا خيرًا.

وأما عليّ فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك. قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: أي بريرة، هل رأيت من شئ يريبك؟ قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرًا قط أغمصه، غير أنها جارية حديثه السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله. قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبدالله بن أبي وهو على المنبر فقال: «**يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي ، والله ما علمت عَلى أهلي إلا خيرًا**». قالت: فقام سعد بن معاذ[1] أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت: وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا، ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد ابن خصير ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى همُّوا أن يقتتلوا ورسول الله

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قال محمد بن إسحاق: إن غزوة بني المصطلق كانت في سنة ست بعد الخندق وذكر فيها حديث الإفك إلا أنه قال عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة، عن عائشة فذكر الحديث فقال: فقام أسيد بن الحضير، فقال: أنا أعذرك منه، فرد عليه سعد بن عبادة ولم يذكر سعد بن معاذ قال أبو محمد ابن حزم: وهذا هو الصحيح الذي لاشك فيه وذكر سعد بن معاذ وهم لأن سعد بن معاذ مات إثر فتح بني قريظة بلاشك «زاد المعاد» (٣/ ٢٦٦).

ﷺ قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت. قالت: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أني لأظن أن البكاء فالق كبدي. فبينما أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينما نحن على ذلك دخل عليها رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس. قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها ولقد لبث شهرًا لا يُوحى إليه في شأني بشيء ، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «**أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه**»، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة. فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال: فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال. قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرًا: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلًا إلا أبا يوسف حين قال : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يُوسُفَ:١٨] ثم تحولت فاضطجعت على فراشي والله يعلم أني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله تعالى منزل في شأني وحيًا يتلى، لَشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمرٍ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرؤني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحدمن أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدرمنه العرق مثل الجمان وهو في يومٍ شات من ثقل القول الذي أُنزل عليه. قالت: فسرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت

أول كلمة تكلم بها أن قال: «**يا عائشة، أما الله فقد برأك**» قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: لا والله لا أقوم إليه، فإني لا أحمد إلا الله عَزَّ وَجَلَّ. قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور:١١].العشر الآيات. ثم أنزل الله تعالى هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

وقال أبو بكر الصديق: بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا. قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال لزينب: «**ماذا علمت أو رأيت؟**» فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما عَلمت إلا خيرًا. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع. قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك. قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط. ثم قال عروة: قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله والذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى قط. قالت: ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله[1].

الفوائد والآثار الإيمانية:

١ – هذه الحادثة على ما فيها من شدة وألم على رسول الله ﷺ سيد الأولين والآخرين، وعلى أبيها الصديق رضي الله عنه أفضل ولي لله بعد الأنبياء والمرسلين، وعلى أمها أم

(١) رواه البخاري (٧/ ٤٩٦، ٤٩٩) المغازي، ومسلم (١٨/ ١٠٢، ١١٣) «التوبة». قال البخاري: والإفك بمنزلة النحس والنجس.

رومان رضي الله عنها ، وعلى صفوان بن المعطل رضي الله عنه الذي شهد له رسول الله ﷺ بأنه ما علم عنه إلا خيرًا وقد رزقه الله عَزَّ وَجَلَّ الشهادة بعد ذلك، وعلى كل مؤمن يتألم لألم رسول الله ﷺ فما يملك المؤمن نفسه عن البكاء، ولا يَدري هل يبكي على رسول الله ﷺ الذي اتهم في عرضه وهو أشرف الخلق وأطيب البشر، أم علي أم المؤمنين التي أحبها رسول الله ﷺ وكانت أحب نسائه إليه، وما كان الله عَزَّ وَجَلَّ يروق رسوله محبتها إلا لطيبها وشرفها، وكيف لا وهي من أطيب بيوت قريش البيت الذي آمن كله أبوها وجدها وإخوتها والله عَزَّ وَجَلَّ العليم الخبير يقول بعد أن أنصهر المؤمنون في جحيم هذه الحادثة أكثر من خمسين يومًا: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾ [النور: ١١]. فإن كان فيها شدة وألم ففيها من الدروس والعبر والتربية للأمة ما يفوق هذا الشر بكثير، والذين ابتلوا بهذا البلاء أجرهم عندالله عَزَّ وَجَلَّ الذي لا يظلم مثقال ذرة، «**وما ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزًا**»(١). فكم ارتفعت عائشة رضي الله عنها حين نزل ببراءتها قرآن يُتلى إلى يوم يوم القيامة، وكان غاية ما تتمناه أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا ببراءتها فمن اتهمها بعد ذلك بما برأها الله عَزَّ وَجَلَّ منه فقد كفر بكتاب الله المنزل، وما أشقى الشيعة بعقائدهم الباطلة فيها وفي أبيها رضي الله عنها وإنما كان هذا الحادث فتنة ظهر به نفاق المنافقين وإيمان المؤمنين.

والذي تولي كِبره في هذا الاتهام الباطل بشرهُ الله عَزَّ وَجَلَّ في الآخرة بعذاب عظيم، والمؤمنون الذين تهاونوا بنقل حديث الإفك وظنوه أمرًا هينًا أدَّبهم الله عَزَّ وَجَلَّ وطهرَّهم بإقامة الحد عليهم، فكانوا عبرة لغيرهم من المؤمنين، فكم حدث من شر وبلاء لاستصغار الذنوب والتهاون بها، وقد كان من نتائج هذا الحادث حدوث فتنة بين الأوس والخزرج كادوا يقتتلون ولكن الله سلم، وكان يمكن أن تأتي تشريعات تحريم القذف وحده وتحريم نقل

(١) جزء من حديث رواه الترمذي (٩/ ١٩٩، ٢٠٠) أبواب الزهد، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٤/ ٢٣١) من حديث أبي كبشة الأنماري، وله شاهد من حديث أبي هريرة في صحيح مسلم بلفظ: «**وما تواضع عبد لله إلا رفعه الله**».

الأخبار التي لم يثبت منها بدون هذه الحادثة ولكننها لم تستقبل بمثل ما استقبلت به هذه الأيات بعد الشدة والمحنة، فهذه تربية ربانية للأمة المشرفة تربية بالبلاء والمحنة، فيزداد بها أهل الإيمان إيمانًا ويظهر بها النفاق وأهله، فحين بلغ الأمر من الشدة والابتلاء وتحيرت الصديقة وأبوها وأمها رضي الله عنهم .

وفيها أيضًا بيان كيف يأتي الله عَزَّ وَجَلَّ بالفرج والسرور بعد الشدة والبلاء بماذا يجيبون أتاهم الله عَزَّ وَجَلَّ بما تُقر به أعينهم من الوحي الصادق على رسول الله ﷺ ، فنزل كالغيث الذي جاء بعد القحط والشدة بما تقر به أعينهم من الوحي الصادق على رسول الله ﷺ ، فنزل كالغيث الذي جاء بعد القحط والشدة.

قال الزمخشري: ومعنى كونه خيرًا لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم، لأنه كان بلاءً مبينًا ومحنةً ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة، بما هو تعظيم لشأن رسول الله ﷺ وتسليةً له، وتنزيه لأم المؤمنين -رضوان الله عليها- وتطهير لأهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه، وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تخفي على متأمليها[1].

٢- **قال أبو السعود:** وحيث كان رسول الله ﷺ أطيب الأطيبين وخيرة الأولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى:﴿ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦] ، وهو الجنة[2].

٣- **قال القرطبي:** قال هشام بن عمار سمعت مالكًا يقول: من سب أبا بكرأدب، وعمر أدب، ومن سب عائشة قتل، لأن الله تعالى يقول: ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]، فمن سب عائشة فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل.

---

(١) «الكشاف» (٣/ ٢١٧، ٢١٨) ط. «الريان».

(٢) «محاسن التأويل» (١٢/ ١٠٢).

قال ابن العربي: قال أصحاب الشافعي: من سب عائشة رضي الله عنها أدب كما في سائر المؤمنين، وليس قوله: ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ في عائشة لأن ذلك كفرًا، وإنما هو كما قال عليه السلام: «**لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه**»(١) ولو كان سلب الإيمان في من سب عائشة حقيقة لكان سلبه في قوله: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»(٢) حقيقة. قلنا ليس كما زعمتم، فإن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله تعالى، فكل من سبها بما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر، فهذا طريق قول مالك، وهو سبيل الآية لأهل البصائر، ولو أن رجلًا سب عائشة بغير ما برأها الله منه لكان جزاؤه الأدب(٣).

٤- **قال ابن القيم** رحمه الله: فما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم توقف في أمرها وسأل عنها واستشار. وهو أعرف بالله وبمنزلته عنده وبما يليق به، وهلا قال: سبحانك هذا بهتان عظيم كما قاله فضلاء الصحابة فالجواب: أن هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سببًا لها وامتحانًا وابتلاءً لرسوله صلى الله عليه وسلم ولجميع الأمة إلى يوم القيامة، ليرفع بهذه القصة أقوامًا، ويضع بها آخرين، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيمانًا ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا، واقتضى تمام الإمتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي شهرًا في شأنها ولا يوحي إليه في ذلك شيء لتتم حكمته التي قدَّرها وقضاها وتظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيمانًا وثباتًا على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده، ويزداد المنافقون إفكًا ونفاقًا، ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها، وتتم نعمة الله عليهم ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها والافتقار إلى الله، والذل له، وحسن الظن به، والرجاء له، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين، وتيأس من حصول النصرة والفرج على

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٩٤٥٧) الأدب، ومسلم (٢/ ١٧) «الإيمان»، قال الحافظ: زاد أحمد والإسماعيلي: قالوا: وما بوائقه؟ قال: «شره».

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٣٠) «الأشربة»، ومسلم (٢/ ٤١، ٤٢) «الإيمان».

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٤٥٩٧، ٤٥٩٨).

يد أحد من الخلق، ولهذا وفت هذا المقام حقه، لما قال لها أبواها: قُومي إليه وقد أنزل عليه براءتها، فقالت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي.

وأيضًا فكان من حكمة حبس الوحي شهرًا أن القضية محصت وتمحضت، واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها، وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع، فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله ﷺ وأهل بيته والصديق وأهله وأصحابه والمؤمنون، فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه، فوقع منهم أعظم موقع وألطفه، وسرُّوا به أتم السرور، وحصل لهم به غاية الهناء، فلو أَطْلَعَ الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة، وأنزل الوحي على الفور بذلك لفاتت هذه الحكم وأضعافها، بل أضعاف أضعافها. وأيضًا فإن الله سبحانه وتعالى أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه، وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه والرد على أعدائه وذمهم وعيبهم بأمرٍ لا يكون له فيه عمل، ولا ينسب إليه بل يكون هو وحده المتولى كذلك الدفاع لرسوله وأهل بيته[1].

٥- **وقال الحافظ:** وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم:

- جواز الحديث عن جماعة ملفقًا مجملًا.

- **وفيه:** مشروعية القرعة حتى بين النساء، وفي المسافرة بهن، والسفر بالنساء حتى في الغزو.

- وجواز حكاية ما وقع للمرء من الفضل ولو كان فيه مدح ناس وذم ناس، إذا تضمن بذلك إزالة توهم النقص عن الحاكي إذا كان بريئًا عند قصد نصح من يبلغه ذلك لئلا يقع فيما وقع من سبق، وأن الأعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم أولى من تركه يقع في الإثم وتحصيل الأجر للموقوع فيه.

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٢٦١، ٢٦٣).

- **وفيه**: استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من الكلام.

- وأن الهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة.

- وجواز ركوب المرأة الهودج على ظهر البعير، ولو كان ذلك مما يشق عليه، حيث يكون مطيقًا لذلك.

- **وفيه**: خدمة الأجانب للمرأة من وراء الحجاب.

- وجواز تستر المرأة بالشيء المنفصل عن البدن.

- وصيانة المال ولو قل، للنهي عن إضاعة المال، فإن عقد عائشة لم يكن من ذهب ولا جوهر.

- وتغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي وإطلاق الظن على العلم.

- **وفيه**: البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع وتعرف صحته وفساده بالتنقيب على من قيل فيه هل وقع منه قبل ذلك ما يشبهه أو يقرب منه.

- واستصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفًا بالخير. إذا لم يظهر عندالبحث ما يخالف ذلك.

- **وفيه**: استعمال: «لا نعلم إلا خيرًا» في التزكية، وأن ذلك كاف في حق من سبقت عدالته ممن يطلع على خفي أمره.

- **وفيه**: أن الشدة إذا اشتدت أعقبها الفرج، وفضل من يفوض الأمر لربه، وأن من قوي على ذلك خف عنه الهم والغم كما وقع في حالتي عائشة قبل استفسارها عن حالها وبعد جوابها والله المستعان.

- **وفيه**: الحث على الإنفاق في سبيل الخير خصوصًا في صلة الرحم، ووقوع المغفرة لمن أحسن إلى من أساء إليه، أو صفح عنه.

- **وفيه**: التسبيح عند التعجب، واستعظام الأمر، وذم الغيبة، وذم سماعها، وزجر من يتعاطاها، لاسيما إذا تضمنت تهمة المؤمن، بما لم يقع منه وذم إشاعة الفاحشة[1].

(١) باختصار من «فتح الباري» (٨/ ٣٣٧، ٣٣٩).